# منطق العلائق التحويلي عند علي حرب

الباحثة غفران علي محمد
الأستاذ المساعد الدكتور حيدر عبد الزهرة رحيم
جامعة الكوفة ـ كلية الآداب/قسم الفلسفة

**الملخص:-**

لقد مر النشاط الفلسفي والفكري بمراحل محاولات لتصحيح وتقويم المناهج المنطقية وخاصة فيما يتعلق بالمنطق الأرسطي، ومن أبرز هذه المحاولات هي محاولة المفكر العربي علي حرب في صياغة منظومة لمنطق يجمع فيه اللغة والتجربة، لذا اختير موضوع البحث من خلال طرح المشكلة الرئيسة في موضوع (منطق العلائق التحويلي عند علي حرب)، بالاعتماد على مؤلفاته والتي منها: الماهية والعلاقة- نحو منطق تحويلي، الفكر والحدث- حوارات ومحاور، التأويل والحقيقة- قراءات تأويلية في الثقافة العربية، استناداً على المنهجين التحليلي والنقدي، ولذلك تضمنت دراسة البحث مقدّمة وثلاثة مباحث ونتائج، تناول المبحث الأول العلاقة المتحوّلة، والمبحث الثاني الماهية والعلاقة، والمبحث الثالث التطابق والتشكيل، وختمت الدراسة بالاستنتاجات التي كان من أهمها أنّ علي حرب ابرز معنى جديد للتفكير، كونه إنتاج لمفاهيم جديدة من مفاهيم النصوص المقروءة، كما انه بنى المنطق التحويلي على أساس العلاقة المتحوّلة وأنّ المنطق الصوري مبني على أساس الماهية الثابتة، وكذلك قام علي حرب بمقارنة مفاهيم عديدة على أساس منطق التطابق ومنطق التشكيل، في حين أنه يرى أنّ العمل الفكري يتعدّى مقولات المنطق وقواعد النحو وصيغ البلاغة، لذلك من الضروري اللجوء إلى منطق العلائق والحدث والتحويل، وعليه أنّ من شأن أهل الفكر عامّة القيام بصناعة العلم وذلك من خلال إعادة خَلْقه على مستوى الفكرة والمفهوم أو غيرهما من مجالات الفكر.

***كلمات مفتاحية: فلسفة معاصرة ـ علي حرب ـ منطق ـ مناهج الفلسفة***

# The Logic of Transformational Relations for Ali Harib

**Researcher Ghufran Ali Mohammed**
**Asst. Prof. Dr. Haider Abdul-Zahra Raheem**
**Department of Philosophy, College of Arts, University of Kufa**

## Abstract:

Philosophical and intellectual activity has gone through many stages in the attempt to specify and correct the logical approaches, especially in regard to Aristotelian logic; among the most prominent of these attempts is by the Arab thinker Harib in formulating a system of logic in which language and experience are combined. Transformational readings, according to Ali Harib, based on his writings, include: Essence and Relationship: Towards a Transformative Logic; Thought and Event: Dialogues and Axes; and Interpretation and Truth: Interpretive readings in Arab culture, based on the analytical and critical approaches. The first topic is the transformed relationship; the second study is the essence and the relationship; the third study congruence and formation; and finally the study completes with conclusions, the most important of which is that Ali Harib highlighted a new meaning of thinking, as it was the production of new concepts from the concepts of the texts , and he built the transformational logic on the basis of the transformed relationship and that the picturial logic is based on the fixed essence. Moreover, Ali Harib compared several concepts based on the logic of congruence and the logic of formation, while he believes that the intellectual work goes beyond the categories of logic, grammar, and rhetoric formulas. Therefore, it is necessary to resort to the logic of relationships, event and transformation, and it is for the people of thought in general to undertake the creation of science by re-creating it at the level of idea and concept or other areas of thought.

Keywords: contemporary philosophy, Ali Harb, logic, methods of philosophy

## المقدمة:-

مرَّ المنطق بأطوار مختلفة، إذ شهد تحوّلات كثيرة، منذ أرسطو حتى رسل، تغيرَّت معها الأسماء والمضامين، ففي البدء صار المنطق آلة للعلوم لأنّه يرتبط بقوانين الفكر وبمقاييس الحقّ، ثم هيمن المنطق الأرسطي على الفكر الإسلامي عن طريق الترجمة، كما هيمن على الحقبة المسيحية الوسيطة، ففي العصر الوسيط جرى توظيف المنطق في تأسيس المجامع اللاهوتية، ومع كنط ثمة عودة إلى أرسطو لتوسيع المقولات، إذ فتح المنطق على الحقل المتعالي والإمكان القبلي، ومع هيغل صار المنطق نسق العلم، بقدر ما ينفتح على الجدل الذي يصبح بُعداً من أبعاد الفكر، أيضاً مع هوسرل يبلغ المنطق المتعالي ذروته، إذ يصبح علماً بالماهيات المحضة والأنا المتعالي.

إنّ سطوة المنطق الأرسطي على الحقب الفكرية المختلفة قد قوَّضت المفهوم، فإنّ أهم تحوّل شهده المنطق منذ أرسطو هو تحوّله إلى جبر خالص أو إلى علم للمنظومات الشكلانية المحضة، وتمّ هذا على حساب المفهوم، وهذه خاصّية المنطق الحديث والمعاصر، إذ تخلّى كلاهما عن اللغة الطبيعيّة، المفهومية، نحو اللغة الجبرية والحسابية، وهذا يعني سيطرة المنطق الأرسطي على كلّ التحوّلات التي حصلتْ على المنطق بفعل استمرار هيمنة منطق الهوية عليه وغياب المفاهيم والإشكاليات المحدثة.

إلاّ أنّ مع وجود سطوة للمنطق الأرسطي على التفكير في الحقب المختلفة كان يوجد نقد لهذا المنطق، فإنّ وجود سطوة للمنطق الأرسطي لا يعني أنّ خطاب النقد كان منعدماً في مجال المنطق، سواء جرى هذا النقد بصورة مضمرة أو معلنة، ونيتشه هو أوّلُ من انقلب على المنطق الصوري بضربه لمفهوم المطابقة، إذ حاول تفكيك نظام الحقيقة وضرب مفهوم المطابقة، أيضاً هذا ما قام به المفكِّرون المعاصرون كجيل دولوز وميشال فوكو وجاك دريدا وريتشارد رورتي وغيرهم.

وكانت هناك حصّة لمذاهب في الفكر العربي المعاصر في نقد المنطق الأرسطي، سواء في موضوعة القياس أو موضوعة الاستقراء بوصفهما الغاية النهائية من البحث المنطقي الأرسطي، فالنظريات المنطقية في الفكر العربي المعاصر تسلك مسلكين في نقدها للمنطق الأرسطي، أحدهما مسلك النقض والتهافت، والآخر مسلك التجديد، لهذا نجد علي حرب أنّه يذهب إلى القراءة التحويلية، إذ يعدَّها الأثمر في التعامل مع القديم الفكري، فإنّ تجديد المنطق يعني ابتكار لغات مفهومية بالقراءة التحويلية.

وعليه فإنّنا بحثنا المشكلة الرئيسة في موضوع (منطق العلائق التحويلي عند علي حرب)، معتمدين على مؤلفات علي حرب التي منها: كتاب الماهية والعلاقة- نحو منطق تحويلي، وكتاب الفكر والحدث- حوارات ومحاور، وكتاب التأويل والحقيقة- قراءات تأويلية في الثقافة العربية، مستندة على المنهج التحليلي والمنهج النقدي.

إذ اقتضت صورة البحث أنْ نقسِّمه على مقدّمة وثلاثة مباحث ونتائج بحث، فأمّا المبحث الأوّل، فدرسنا

فيه موضوع: العلاقة المتحوّلة، وأمّا المبحث الثاني، فدرسنا فيه موضوع: الماهية والعلاقة، في حين درسنا في المبحث الأخير موضوع: التطابق والتشكيل، وأمّا الخاتمة، فتضمّنتْ أهم نتائج البحث، وآخر دعوانا أنْ الحمد لله ربِّ العالمين.

المبحث الأوّل

العلاقة المتحوّلة

يذكر علي حرب أنّ المنطق العلائقي والتحويلي يتعامل مع الحقيقة بوصفها المقدرة على الإحداث وليس بوصفها المطابقة مع الواقع، وهذا ما لا يتيحه المنطق الصوري، فإنّ "المنطق الصوري: لا يستطيع نفي ما يحدث من وقائع الفكر، تماماً، كما لا يستطيع إثبات ما يوجد إلاّ على سبيل تحصيل الحاصل، هذا المأزق لا يمكن الفكاك منه إلاّ بتفكيك المعايير والآليات التي يشتغل بها المنطق الصوري، للتحرّر من سجن المطابقة وأحادية الصدق وديكتاتورية الكلّية والضرورة، وذلك بالتعامل مع الحقيقة لا كمماهاة مع الواقع أو تملّك له، بل بوصفها لعبة الخَلق والتشكيل أو القدرة على الإحداث والتغيير، هذا ما يتيحه المنطق التحويلي والعلائقي، بقدر ما يفتح الفكر على ما يتناساه خطاب الهوية والمطابقة، والخطاب يتناسى حقيقته بالذات، أي كونه حدثاً ينتج الحقيقة ويولّد الدلالة بأبنيته وتراكيبه، بسلاسله وشبكاته"[١].

ويبيّن علي حرب أنّ الحدث الفكري شأنّه أنْ نقرأه كي نتغيَّر، إذ تكمن أهميّته في فاعليّته التحويلية حاله في هذا كحال أي حدث، فإنّ "بهذا المعنى لا سبيل إلى اختزال الموجودات إلى مجرَّد تصوّرات مطابقة لما هو واقع، أو إلى مجرَّد روايات تسجِّل بأمانة مجريات العالم، وإنّما يتعلّق الأمر بنصوص وتشكيلات تُجسّد عوالم ممكنة أو تفتح أبواباً موصدة، أي تقدِّم إمكانيات جديدة للوجود والحياة، بحيث يخرج المرء بعد قراءتها والتعاطي معها على غير ما كان عليه، عندها لا تعود المسألة هي أنْ نقرأ ونفكِّر لكي نعرف ذواتنا أو لكي تقبض على ماهيات الأشياء، بل أنْ نتحوّل عمّا نحن عليه، بتحويل علاقتنا بالعالم، عن طريق خلق الوقائع وإنتاج الحقائق، هذا شأن الحدث الفكري الهام، لا نقرأه لكي نقترب من حقيقتنا أو لكي نكون أنفسنا، بالعكس إنّنا نقرأه لكي نتغيّر، ولذا فأهميّته هي في مفاعيله التحويلية، شأنه شأن أي حدث"[٢].

وشأن أهل الفكر عامّة هو أنّهم يصنعون العلم بإعادة خَلْقه على مستوى الفكرة والمفهوم أو غيرهما من مجالات الفكر، فإنّ "بعد الذي أحدثه المثقَّف المناضل والنموذج العقائدي من الخراب للعمران والدمار للذات، صرتُ أخجل من الاعتراض على مواقف أهل التصوّف وخياراتهم! ثمّ ألا تحتاج الحياة المعاصرة إلى قدر من الزهد بالحاجة ومناهضة الذات الراغبة، لمواجهة امبريالية السلع وجشع الاستهلاك وديكتاتورية العقائد وفاشية العصبيات ووحش التوتاليتاريات؟ أيّاً يكن، وفيما يخصّني أيضاً، لم أعدّ أجادل الذين تخلّوا عن ممارسة دور المثقَّف العضوي المنخرط في مشاريع التحرير والتغيير عسير النضالات التقليدية،

بل إنّني أقف موقف النقد من المثقَّف ودوره، ساعياً إلى التحرّر من وهم التحرير، محاولاً ممارسة فاعليَّتي من خلال العمل بخصوصيَّتي التي هي القراءة والتشخيص، بحيث أكون فاعلاً بما أنتجه من أفكار أو أصوغه من إشكالات فكرية، فالعامل في مجال الفكر، ينبغي أنْ يكون فاعلاً على الصعيد الفكري في المقام الأوّل، هذا خياري الذي أتبنّاه ولا أفرضه على أحد، وبالإجمال هذا شأن أهل الفكر والأدب والفن وكلّ العاملين في قطاع الثقافة والانتاج الرمزي، إنّهم يصنعون العالم بإعادة خَلْقه على صعيد من أصعدته، عنيتُ على صعيد الفكرة والمفهوم أو بواسطة التأليف الأدبي والتشكيل الفني، هكذا، كلّ واحد منهم هو فاعل في مجاله، بعمله، الفكري أو الأدبي أو الفنّي، الذي يسهم من خلاله في صناعة الأحداث، بقدر ما يغدو العمل هو ذاته حدثاً يملك وقائعيّته ويفرض نفسه"[٣].

ويرى علي حرب أنّ العمل الفكري يتعدّى مقولات المنطق وقواعد النحو وصيغ البلاغة، إذ يرى ضرورة اللجوء إلى منطق العلائق والحدث والتحويل حين نقرأ النتاج الفلسفي والمنطقي، فنحن "بذلك لا نقرأ الفلاسفة، ولا المناطقة أيضاً، بمنطق المطابقة والصدق، أي لا نقرأهم بمنطقهم الذي يَؤول إلى نفي إنجازاتهم، بتبيان عدم تماسكهم وفقدانهم لمصداقيتهم، وإنّما نقرأهم بمنطق الحدث والعلاقة والتحوّل والتوليد، بحيث نتعامل مع نصوصهم بوصفها بيئات فكرية أو عوالم مفهومية أو مساحات معرفية هي من الغنى والكثافة والالتباس، ما يجعلها محلًّا لقراءات لا تنفك تختلف وتتباين أو تتكاثر وتتجدّد، بقدر ما تُحدِث تغيّراً في العلاقة بالمعرفة والحقيقة، أو بالمعنى والنصّ، أو بالذات والفكر، وهذا شأن العمل الفكري الهام: إنّه يتعدّى مقولات المنطق وقواعد النحو وصيغ البلاغة، على نحو يتيح لنا أنْ نقرأ فيه دوماً ما لم يُقرأ من قبل"[٤].

ويميّز علي حرب بين قراءتنا للفيلسوف بمنطق الصدق وقراءتنا له بمنطق الحدث، فإنّ في ضوء المنطق الأوّل لا نجد لدى فيلسوف- كأفلاطون وأرسطو- سوى التناقضات وعدم المصداقية، في حين على وفق المنطق الثاني فإنّنا نجد لدى الفيلسوف أو المنطقي ميداناً قد ابتكره بمفاهيمه ومركَّباته، فإنّ من "مثالات ذلك: من يقرأ أفلاطون بمنطق الصدق يحكم عليه بعدم المصداقية، بقدر ما حاول فيلسوف الأكاديمية نفي هذا العالم للقول بعالم آخر ليس عالمنا سوى ظلال له وأصداء، أمّا إذا قرأناه بمنطق الحدث والتحويل أو بمنطق الخَلق والتشكيل، فإنّنا نلتفت إلى الميدان الفكري الذي افتتحه، وننشغل بالمركَّبات والشخصيات المفهومية التي ابتكرها، وهذا شأن أرسطو: لو قرأناه بمنطق البرهان، لحكمنا عليه بالتناقض، لأنّ خطابه الاستدلالي مليء بالفجوات المتكوّنة من الثنائيات التي تحكم هذا الخطاب، كثنائية الهيولى والصورة، أو العالم المتحرِّك والمحرِّك الذي لا يتحرَّك، ولكن لو قرأناه بمنطق الحدث والتحويل، لوجدنا بأنّه ابتكر جملة من الأدوات المفهومية، أصبحت جزءاً من ذاكرة الفلسفة، كالمادة والصورة، أو القوة والفعل، أو العلة والمعلول، أو الجوهر والعرض"[٥].

كما يذهب علي حرب إلى أنّ نص ابن سينا تكمن أهميّته فيما تشكّله فجواته من شروحات متعارضة وليس فيما يتولَّد عنها من شروحات تدّعي القبض على الحقيقة في ضوء منطق المطابقة، فإنّ "هذا شأننا مع ابن سينا، لو قرأناه بمنطق الحد، لحكمنا عليه بالعجز، لأنّ كلّ الجهود المنطقية التي بذلها أهل الحدّ، عبر مباحثهم وتحقيقاتهم، لم تفضِ إلى البتّ والقطع في حدِّ أي مفهوم أو مصطلح خضع لآليات التعريف والتصنيف، بل ثمّة دوماً تعريفات هي خرق للحدود، أي انزياحات في المعنى أو توسيع للمفاهيم أو تشابك في الدلالات، بهذا المعنى تشكِّل نصوص ابن سينا فسحة من الممكنات، الأمر الذي جعلها موضعاً لشروحات متعدّدة ومتعارضة، وهذه الشروحات تخدعنا بقدر ما تدّعي القبض على حقيقة النصّ، فيما هي تضاعفه من خلال بعثرة المعني وتشتيته، من هنا فإنّ أهمية نصّ ابن سينا ليس في كونه يشكِّل خطاباً يقبض على الحقيقة بواسطة الآلة المنطقية العاصمة للفكر عن الخطأ، بل في ما يتوّلد عن قراءته من الأعمال والنصوص، أو فيما تتيحه فجواته من الشروحات المختلفة والمتعارضة"[٦].

أيضاً يرى علي حرب الحال نفسه مع الشيرازي، فنصّ رسالة التصوّر والتصديق يكتسب مشروعيّته من حقيقته بالذات في ضوء منطق الحدث إذ أنّه يشكِّل عالماً علائقياً تحويلياً، فهذا هو "الشأن مع صدر الدين الشيرازي: لو قرأ المرء «رسالة التصور والتصديق»، بمنطقها، لما صدَّق بها، إذ هي تفشل في حدّ التصديق على نحو فاصل، أي هي لا تزيل الاشتباه والالتباس، بل تزيد الأمر تعقيداً أو تشابكاً، من هنا أهميّتها، أي كونها تفيض عن الحدّ وتتعدّى الحُكْم الجازم، لتشكّل نصّاً يكتسب مشروعيّته، لا من كونه يخبرنا عن الحقيقة، بل من حقيقته بالذات، أي من كونه يشكّل عالماً من العلاقات تتشابك فيه الدلالات وتتسلسل الإحالات"[٧].

"القول بإسلامية المعرفة هو نقيض الإبداع، بمعنى أنه يعرقل نشاط الفكر الخلاق بقدر ما يحول دون تطوير العلوم والمعارف أو دون تجديد المفاهيم والمناهج. ذلك أن الصفة الإسلامية لا تشير هنا إلى مجرد إطار لحصر موضوع الدرس، وإنما هي تصدر عن منزع نرجسي أو عن هاجس أصولي يغلب الاعتبارات الإيديولوجية، التي يهتم أصحابها بالمدافعة والمحافظة أو بالترويج والتبجيل، على المشاغل المعرفية التي يمارس أصحابها التفكير، بصورة حرة من غير مصادرة، وعلى نحو نقدي يقومعلى المساءلة والفحص من غير مسبقات"[٨].

ويذهب علي حرب إلى أنّ ديكارت قد أوجد مركَّباً مفهومياً في ضوء منطق الفاعلية وليس في ضوء منطق اليقين الذي يشككنا بمنهجه، لأنّنا "لو قرأنا ديكارت بعقلية اليقين، لشككنا بمنهجه الذي يحاول إقناعنا أنّ بإمكاننا أنْ نفكِّر بمعزل عن أجسادنا ورؤوسنا وجوارحنا، ولكن لو قرأناه بمنطق الخَلق والفاعلية، لوجدنا أنّه خَلق، عبر الكوجيتو، مركَّباً مفهومياً، اخترق كلّ الأعمال الفلسفية، الحديثة والمعاصرة، التي انشغلت بقراءته ونقده"[٩].

كما يبيّن علي حرب أنّ شأن كنط هو أنّنا إذا قرأناه قراءة تحويلية علائقية فإنّ علاقتنا بنصّ كنط تتيح لنا نسج صلات معه تتجاوز أحكامه القبلية في ضوء المنطق التحويلي نتيجة خبراتنا المحايثة، إذ "كذلك الأمر مع كنط: لو قرأناه بمنطق التعالي لَحَكَمْنا بخداعه، لأنّ ما تبقّى عنده هو نصّه المحايث الذي يتعدّى نظامه البرهاني وأحكامَه القبلية، بما له من الكثافة المفهومية التي تتيح لنا أنْ نشتغل عليه للكشف عن بطانته اللامفهومة ومعانيه الملتبسة، هذا ما يتيحه المنطق التحويلي: أنْ لا نقرأ كنط قراءة متعالية تبحث عن الصلات القبلية للتجارب الممكنة، بل أنْ نقرأه قراءة مغايرة تحوّل علاقتنا بالنصّ، بقدر ما تتيح لنا أنْ ننسج معه صلات بَعْدية هي ثمرة خبراتنا الوجودية وتجاربنا المحايِثة"[١٠].

"بالنسبة إلى القراءة التأويلية تقع اللغة في صميم عملية المعرفة، لأن اللغة هي في النهاية شكل من أشكال الوجود. وكل معرفة بهذا الوجود إنما تؤدي إلى إعادة فهمنا للغة نفسها. كذلك ليس الشيء موضوعة جاهزة. فالحق ليس معطى سلفاً لأن العقل ينظر إلى الأشياء تاريخه وتراثه. وما تاريخه في النهاية سوى تاريخ علاقته بالأشياء، وهي تمر اللغة. ولذلك فإن فحص الأشياء وتأملها إنما هو في النهاية ضرب من حوار الإنسان مع نفسه خلال الألفاظ"[١١].

والمثال الأخير، الذي يسوقه لنا علي حرب للدلالة على أنّ المنطق العلائقي والتحويلي يتعامل مع الحقيقة بوصفها المقدرة على الإحداث وليس بوصفها المطابقة مع الواقع، يرتبط بتشومسكي، إذ غيَّر تشومسكي مفاهيم الحدث الفكري الألسني لكن ليس في ضوء منطق التهافت، فإنّ "أخيراً... شأن تشومسكي: لو تعاملنا معه بمنطقه، أي بمنطق التهافت، لحَكَمَنا عليه بالفشل والمراوحة، لأنّه مناظراته لم تسقط حجج خصومه من جهة، ولأنّها لم تقدِّم جديداً بالنسبة إلى أطروحته حول النحو الفطري من جهة أخرى، غير أنّنا لو تعاملنا معه بمنطق تحويلي، فإنّنا نلتفت إلى ما أحدثه من تحوّل في الفكر الألسني عبر «النحو التوليدي» الذي شكَّل مساحة مفهومية جديدة، فالمهم هنا ليس الجدال والحجاج حول وجود هوية مسبقة للغة، يمكن البرهنة عليها، وإنّما المهم الحدث الفكري ذاته، وما تولَّد عنه من الحقائق، أي تغيير خريطة المفاهيم على ساحة الفكر الألسني"[١٢].

"وهذه ميزة المفكر: ليس هو الذي يحسن فقط الدفاع عن أفكاره أو المعسكرة وراء نصوصه، بل هو قبل ذلك القادر على توليد الأفكار وتغييرها باستمرار. بهذا المعنى ليس النقد بحرد دحض المقولات أو إقصاء للأشخاص والذوات، بقدر ما هو تقديم إمكانيات جديدة للتفكير والقول أو العمل، بإثارة أسئلة حقيقية، أو صوغ إشكاليات هامة، أو زحزحة مشكلات عالقة، أو تحت مفاهيم جديدة، أو ابتكار طرق وأساليب غير مسبوقة. باختصار: أن النقد بهذا المعنى هو افتتاح مناطق جديدة للوجود ونسج علاقات مغايرة مع الخفيفة، بخلق تراكيب مفهومية جديدة أو بابتكار صيغ فعالة وملائمة للعمل والتنظيم. من هنا لم تعد

تجدي اللغة المفهومية السائدة في خطابات المثقفين العرب لقراءة العالم. الأجدى أن نعيد التفكير في كل ما كنا نفكر فيه، وكأننا نبدأ من جديد، بحيث نغير علاقاتنا بكل المفاهيم المتداولة: بالحقيقة والمعرفة، بالحرية والسلطة، بالدولة والمجتمع، بالثقافة والسياسية، فضلاً عن مفهوم التغيير نفسه الذي يحتاج إلى إعادة النظر والتفكير. فالعالم يصنع ويتغير بأفكار جديدة وقوى جديدة وخاصة بطريقة جديدة ومغايرة، بمعنى أن العالم يصنعه المنتجون والمبدعون، كل في قطاعه الخاص، أي في مجال عمله وميدان اختصاصه. وهذا شأن أهل الفكر: إنهم يسهمون في صنع العالم عبر أفكارهم الخصبة ومقولاتهم الخارقة أو صيغهم المفهومية الفذة للعلاقة بين الفكر والحقيقة، أو بين الأنا والعالم، أو بين الذات والغير، باختصار: نحن نسهم في تغيير العالم، بقدر ما ننجح في إعادة تشكيله عبير تفكيكا لمنظوماتنا الفكرية وإعادة تركيبها على نحو جديد ومغاير، خلاق ومبتكر، فعال ومنتج، أما أصحاب الأفكار القدرية، فإنهم لا يشهدون إلا على عجزهم وهشاشتهم، ولا يمارسون سوى هامشيتهم بل نفي انفسهم عن بحريات الأحداث والوقائع"[١٣].

وعليه يستنتج علي حرب أنّ التعارضات في الفلسفة كالثنائيات هي يسبّبها المنطق الصوري الذي ينتج التناقض، فإنّ "مدار الأمثلة أنّ المنطق الصوري، بما هو منطق وحيد الجانب، باحث عن التطابق، لا ينتج سوى التناقض، تشهد على ذلك التعارضات الخانقة التي تحكّمتْ في الفكر الفلسفي كثنائية المثال والمحسوس، أو الصورة والمادة، أو القدم والحدوث، أو العقل والنقل، أو الفكر والامتداد، أو الفهم والحساسية، أو الذات والموضوع، أو المثالية والمادية، أو الدين والعلمانية، أو اللاهوت والناسوت، أو الفطرة والاكتساب"[١٤].

ويذهب علي حرب إلى أنّ القول- دائماً- لا يتطابق مع مقصَد المتكلِّم، فهناك فجوة لا يمكن ردمها بينهما لأنّها تمثّل التعارض الأنطولوجي الذي يكشف تستّر العقل على لا معقولاته، فإنّ "في المنطق التحويلي، لا سبيل إلى ردم الفجوة بين الدال والمدلول أو بين المقول والمفهوم أو بين الرؤية والعبارة، وهي فجوة تجسِّد التعارض الأنطولوجي الذي يخترق الخطاب، أي عجز القول عن التطابق مع ما يقوله، أو كون الكلام هو دوماً غير ما يقصده المتكلِّم، هذا التعارض الأساسي هو الذي يفسِّر لنا كيف أنّ خطاب العقل يتستّر على لا معقولاته، وأنّ خطاب الحرية يمارس استبداده، وأنّ خطاب العلمانية يولِّد لاهوته"[١٥].

"موقف حرب النقدي من شعارات ك (الديمقراطية، الحرية، الوحدة) لا يفسره اهتمامه النقدي المنصب على هكذا شعارات فقط، بل يفسره حدث الحرب الأهلية اللبنانية التي تشكل أثرا وحضورا قويا في فكره ومواقفه من هذه الشعارات. ذلك أن هذا الحدث هو السبب وراء هجره للفلسفة الماركسية لما انطوت عليه من نزعة مثالية، وهو السبب وراء نقده للعلاقة التي أقامها المثقفين مع شعاراتهم"[١٦].

وبناءً على هذا يقرّر علي حرب أنّ المهم في التفكير هو أنْ نولي اهتمامنا للعلاقة بين الأطراف لا أنْ نختار طرفاً منها، فليس التفكير حلاً للتعارض، وإنّما هو تحويل للعلاقات، إذ "ليس علينا هنا أنْ نختار بين

أطراف المتعارضات، وإنّما علينا أنْ نهتم بالعلاقات بين الأطراف، لأنّ الأصل هو التعارض والاختلاف أو التفارق والتفاضل أو التعدد والتبعثر أو التجدد والتكاثر، عندها لا يكون التفكير عبارة عن حل التعارض، بل فهم للمأزق وصوغ للإشكالات بتفكيك البنى والآليات أو بصرف الألفاظ وتحويل العلاقات، هنا ليس التفكير محاولة للاستدلال الصوري علي وجود الشيء، كما هو شأن الاستدلال على وجود الله، ولا هو بحث عن الماهية الحقة على سبيل التطابق، وإنّما هو صياغة العلاقة مع الحقيقة على نحو إشكالي، أو قراءة الحدث بلغة مفهومية، تنبثق معها إمكانات جديدة للتفكير والتعبير والتدبير"[١٧].

ويرى علي حرب أنّ اللجوء إلى التفكير بمنطق التحويل العلائقي يجعلنا نُسْهِم في تكوين موضوع المعرفة بإنتاج مفاهيم جديدة لا توقفنا على ماهيتها، فإنّ "معنى العلاقة الإشكالية أنّ المعرفة بالموضوع ليست ذات طابع تطابقي يقيني أو ثبوتي، بل هي مساهمة في تكوين الموضوع، بهذا المعنى كلّ معرفة هي إزاحة أو خرق أو قلب أو ترميم وإعادة بناء، ولذا فمَن يفكِّر بمنطق تحويلي علائقي، لا يبحث عن ماهية العقل المحض، لكي يطرد اللامعقول من ملكوت العقل، بل ينتج مفهوماً جديداً للعقل، لا يوقفنا على ماهيته الصافية، بقدر ما يحدث تحولاً في العلاقة بالموضوع، وذلك بإعادة ترتيب العلاقة بين العقل ولا معقولاته، واللامعقولات هي المادة التي يشتغل عليها العقل ويتغذى منها لتصيير اللامعقول معقولاً أو لفهم اللامفهوم"[١٨].

"ثمة مجال آخر، هو الأهم، يمكن لنا أن نتعلم فيه من الغرب، هو كيفية تعامله مع ذاته وطريقة تدبره لأزماته . والبارز في هذا المجال، من خلال سيرورة العقل الغربي وتجاربه، أن هذا العقل يقيم علاقة نقدية مع ذاته، بالعودة على أنظمته المعرفية واستراتيجياته العملية، لتفكيك نماذجه في الرؤية والتقييم أو التغيير طرقه في التفكير والتقدير . بالطبع لا من أجل نفي المكتسبات أو القفز فوق الإنجازات، بل من أجل اجتراح صيغ وأساليب، أكثر تركيبا واتساعا أو أكثر نجاعة وراهنية، من حيث مفاعيلها المفهومية وقدراتها التواصلية، وبالطبع أكثر مراعاة لحرية الفرد أو احتراما لحقوق الإنسان"[١٩].

ويذهب علي حرب إلى أنّ التفكير هو إنتاج مفاهيم جديدة من مفاهيم النصوص المقروءة تتكوّن معها علاقات مغايرة مع الحقيقة لا على سبيل التطابق، إذ "ليس علينا أنْ نختار هنا بين التمحور على الذات أو على الموضوع، لأنّ التفكير ليس تواطؤ «عقل ذاتي» مع الموضوع، أو تطابق «أفكار موضوعية» مع الأشياء، وإنّما هو إنتاج مفاهيم تجسِّد عوالم ممكنة تتحوّل معها العلاقات بين الأشياء لا على سبيل التطابق والتطابق، بل على سبيل التوليد والتحويل، وذلك أنّ المفهوم إنّما يتكوّن أو يُعاد تكوينه، بقدر ما يسهم في قراءة الحدث أو بقدر ما ينخرط في فتح مجال جديد تُنْسَج معه علاقات مغايرة مع الحقيقة"[٢٠].

أيضاً يذهب علي حرب إلى أنّ الإشكالية هي بين فكر تطابقي وفكر مفتوح على التحوّل، فلا نستبدل أصلاً بآخر، لا نستبدل الصورة بالمادة، فلا بدّ من ممارسة التفكير كفاعلية حَدَثية، إذ "ليس علينا، بحسب المنطق التحويلي، أنْ نختار بين الدين والعلمانية، أي ليس علينا أنْ نستبدل أصلاً بآخر أو صورة بأخرى،

كأن نعمل على إحلال بنية ناسوتية محل بنية لاهوتية، الأحرى أنْ نلتفت دوماً إلى ما تتكشّف عنه ممارسات البشر من أبعاد لاهوتية، بهذا المعنى يُمارَس التفكير كفاعلية نقدية لمقاومة أمبريالية المعنى ومركزية الأنا ووطأة البنى، بحيث تصبح الإشكالية هي بين فكر أحادي وفكر نقدي، بين فكر يقيني ثبوتي وفكر مفتوح على التعارض والتوتر"(٢١).

وتأسيساً على هذا يرى علي حرب إنّ الذي يتيحه لنا المنطق التحويلي هو تجاوز مقولات التطابق نحو مفهومات الحدث والتحوّل والتكوثر، فإنّ "وحده ذلك يتيح التحرّر من الكمّاشات المنطقية التي تضع الفكر بين فكَّي الإحراج، حيث لا وسط بين النقيضين، هذا ما يتيحه المنطق الجديد، بقدر ما يحاول تجاوز مقولات المماهاة والمرآة والتطابق والنموذج والتأسيس والتطبيق، نحو مفهومات العلاقة والشبكة والقراءة والخلق والتشكيل والمراهنة"(٢٢).

المبحث الثاني

الماهية والعلاقة

يُجري علي حرب مقارنة بين المنطق التحويلي والمنطق الصوري في ضوء العلاقة والماهية، ففي منطق الحدث يكون الارتكاز على العلاقة المتحوّلة، في حين يكون الارتكاز في منطق التطابق على وفق الماهية الثابتة، فإنّ "مع المنطق التحويلي يجري أوّلاً تجاوز المنظور «الماهوي» للكائن للتعامل معه على نحو علائقي تبادلي، في المنطق الصوري الكائن هو ماهية ينبغي تصوّرها على نحو مطابق، سواء عبر الحدّ والرسم أو بالقياس والبرهان، في المنطق التحويلي لا ماهية صرفة، ولا هوية متعيّنة بصورة حاسمة ونهائية، فالشيء هو هنا جملة علاقاته ومحصلة تبادلاته التي هي جماع إمكانيّاته المفتوحة دوماً على المجهول والمفاجئ واللامتوقَّع، إنّه نسبة إلى الأشياء الأخرى، وكلّ نسبة تفتح إمكاناً جديداً للتفكير، بقدر ما تنشئ علاقة جديدة مع الحقيقة، وكلّ علاقة مغايرة تُحدِث تحولاً في بنية الواقع، على نحو يُعاد معه ترتيب العلاقات التي يتركّب منها العالم، وذلك بتشكيل الحقول والموضوعات، أو بفتح المجالات والفضاءات"(٢٣).

وعلى وفق هذا يفسِّر علي حرب حقيقة العدد بأنّها ما يتولَّد عن علاقاته بغيره من الحقائق الرياضية وليست ماهيته الجاهزة، فإنّ "هذا شأن العدد بالذات، إنّه ليس جوهراً، بل هو مجرَّد نسبة إلى سائر الأعداد، ولذا من يدرس العدد (٧)، على سبيل المثال، لا يقف على ماهيته، بل ينشئ «شبكة من العلاقات» هي نفسها محصّلة علاقات كما يقول ريتشارد رورتي، بهذا المعنى فحقيقة العدد ليست ماهيته المسبقة أو الجاهزة التي ينبغي البحث عنها، وإنّما هي ما يتولَّد عن شبكة علاقاته بسواه من الحقائق الحسابية أو المعادلات الرياضية، التي لا يمكن أنْ تستنفدها منظومة وحيدة، مغلقة أو تامّة"(٢٤).

أيضاً يُفسِّر علي حرب حقيقة اللغة بأنّها استخدام أبنية وتراكيب، فهي ما يُمارسه أهل اللغات والناطقون بها من خطابات وتشكيلات نصوصية، فإنّ "هذا شأن اللغة أيضاً: فحقيقتها لا تكمن في حالة أوّلية أو في

بنية أصلية أو في ملكة فطرية، ينبغي للبحث أنْ يقف عليها يوماً ما، بقدر ما هي أبنية وتراكيب أو علاقات وروابط لا تتوقّف عن الحدوث والتشكّل، أو عن التوسّع والانتشار، أو عن التغيّر والتحوّل، بهذا المعنى ليست اللغة سوى حصيلة الممارسات الخطابية والتشكيلات النصوصية، أي هي كلّ ما يمارسه أو يتداوله أو ينتجه أهل اللغات والناطقون بها، والأحرى القول، ما يمارسه «الفاعلون اللغويون»، لأنّ من يتكلّم لغة، يفعل بقدر ما ينفعل، بمعنى أنّه يستخدم أبنية وتراكيب، بقدر ما يقوم بفهمها وإنتاجها، ولا فهم أو إنتاج من غير فعل أو تحويل"[٢٥].

"اللغة، بما هي نطق الكينونة، انفتاح على الكائن وامكان الوجود، امكان يبني الحقيقة بقدر ما يكشف عنها، ويصنع الإنسان بقدر ما ينطق به. واللغة الخالقة أو المبدعة هي في النهاية مجاز، أي اجتياز وعبور وهجرة وارتحال، وذلك بقدر ما قلق ومغايرة أو تعارض وانفصام. لذا حرق القول إن الكينونة هي في جوهرها رحلة لغوية. فباللغة يرتحل الإنسان على الدوام من العجمة إلى الفصاحة، ومن المألوف إلى الجمالي، ومن الثرثرة إلى الابداع، باختصار من الطبيعة إلى الثقافة. فالإنسان هو مجاز إذا صح التعبير: مجاز من الواقعي إلى الرمزي ومن الشاهد إلى الغائب ومن الدال إلى المدلول. إنه ارتحال بين الدلالات، ارتحال مبعثه احساس الكائن بالنقص والغياب"[٢٦].

ويذهب علي حرب إلى أنّ المجتمع مرتبط بما ننشئه عنه من مفاهيم مقارَبات الواقع الاجتماعي فيما يتعلّق بحقيقته الموضوعية، فإنّ "هذا شأن المجتمع: لا يمكن القبض على حقيقته الموضوعية أو تمثل بنيته الأوّلية، على ما يعتقد علماء الاجتماع والأناسة؛ لأنّ المجتمع لا ينفصل في النهاية عمّا ننشئه حوله من المفاهيم والنماذج التفسيرية التي هي مقاربات مختلفة للواقع الاجتماعي، كتفسير المجتمع من خلال النموذج العضوي، أو النموذج الآلي، أو النموذج اللغوي، أو النموذج الثقافي، وكلّ مقاربة جديدة تُنشئ صلة مغايرة مع الحقيقة الاجتماعية أكثر ممّا تقبض على الواقع الموضوعي للمجتمعات"[٢٧].

ولا يستثني علي حرب حتى القول باستحالة استحصال حقيقة المادة، فلا يمكن الوصول إلى حقيقة العناصر، فجلّ ما يمكن الوصول إليه هو العلاقة التي بين أجزاء العناصر فحسب، فإنّ "المادة لا يمكن القبض على حقيقتها الموضوعية، لأنّ ما يتبقّى بعد كلّ التجارب والبحوث، هو النماذج النظرية التي تشرح العلاقات التي يمكن أنْ تنشأ بين العناصر المكوِّنة للذرة أو للخلية، أمّا القبض على ماهية العناصر نفسها أو ما تحت العناصر الأوّلية، فلا يفضي إلاّ إلى الانفجار الأعظم الذي يدمِّر الحياة ويلوِّث البيئة"[٢٨].

"فليس هذا مثار الاختلاف، ذلك أن تعددية القراءة تعني أولا أن النص ليس ذا بنية مغلقة أو محكمة، ولا هو أحادي الوجهة والدلالة، وإنما هو كتشكيل خطابي وفضاء رمزي، متعدد الوجوه والمستويات والأبعاد، وهذه مفاعيل الآثار الفكرية ومرجعيات المعني، التي هي دوما محل لبؤرة أو فجوة أو طبقة أو شبكة أو

موجة أو إشكالية، بقدر ما كثافة الدلالة وطيات الفكرة، أو من اشتباه اللفظ والتباس المفهوم، أو من ازدواج المقولة وثنائية الأصل والنشأة. وهي تعي من جهة ثانية أن قراءة النص لا تأتي من فراغ أو تصدر عن وهم، وإنما التي تدخل على المقروء من تجربة فذة، أو من استثمار علم جديد، أو من أداة منهجية مبتكرة، أو من اقتحام منطقة وجودية جديدة لعمل الفكر. وبالطبع هذا شأن القراءات الحية والخصبة، الفعالة والراهنة، أكانت شرح وتفسيرا أم صرفا وتأوي أم تفكيكا وتحويلا. وهذا ما يشهد به تاريخ القراءات المبتكرة، المتعددة والمختلفة بغناها، سواء للكتب الدينية أو للأعمال الفلسفية، الجمهورية أفلاطون أو للنص القرآني، لمنطق ابن سينا أو لمقولات ديكارت، ولذا، فكل قراءة النص من النصوص تحدد المعرفة به بقدر ما تغني عالم المعرفة؛ كل قراءة حية للماضي هي يفتح أفق أرحبا أمام المستقبل، وكل تشريح ناجح وكاشف للتراث تكتسب معه الهوية غني وقوة، وكل جرح نقدي في الخطابات والروايات تجترح معه إمكانات جديدة للقول والسرد؛ تماما كما أن كل تأويل مبتكر للوقائع يفتح إمكانا للعمل على نحو غير متوقع. باختصار كل قراءة خلاقة للعالم تشكل نفسها واقعة تترك أثرها في مشهد الواقع على صعيد من صعده"[٢٩].

وتأسيساً على هذا يرى علي حرب أنّ التراكمات التي ينبني عليها تأريخ العلم بالشيء هي التي تولّد التعقيد والإشكاليات في البحث عن ذات الشيء، إذ "لا شيء يمكن القبض على حقيقته الموضوعية، ما دام لا شيء يُدرَك بذاته، سواءً اختصّ الأمر باللغة أم بالمجتمع، بعالم الإنسان أم بعالَم الطبيعة، وإذا كنا لا نبلغ البنى الأوّلية والنماذج الأصلية أو المفاهيم المحضة والمبادئ القبلية، فليس لأنّ الموضوعات التي نفكّر فيها هي في غاية التعقيد، ولا لأنّ المناهج والوسائل لا تفي بدرسها أو بدَرَك ماهياتها، بل لأنّ من يبحث عن شيء، يجد أمامه كلّ التراكمات والتعقيدات والإشكاليات التي يتكوّن منها تاريخ العلم به"[٣٠].

ويرى علي حرب أنّ اللغة ترتبط ارتباطاً في غاية الوثاقة بتحوّلاتها وتراكماتها المتعاقبة، فإنّ "بهذا المعنى تبدو اللغة معقّدة، ليس لأنّها تنطوي على سرٍّ قد لا ننجح في كشفه، ولا لأنّ هناك اعتبارات أخلاقية تحول دون إجراء تجارب على الدماغ البشري قد تساعد على إيضاح طبيعة «الكلّيات النحوية»، كما يعتقد تشومسكي، بل لأنّ اللغة لا تنفك عن تاريخها المديد وعن تحوّلاتها المتعاقبة، أي ما تراكم بشأنها من التأمّلات والدراسات والنظريات"[٣١].

"مثل هذه المفاهيم تصدر عن منطق جديد ومغاير، أسميه المنطق التحويلي، بقي تشومسكي مغلقة بفكره إزاءه، بقدر ما استبعد الانجازات الفكرية التي تحققت في الفلسفة وعلوم الإنسان، بدءا من نيتشه مع نهاية القرن التاسع عشر، حتى ريتشارد رورتي مع نهايات القرن العشرين، مرورا طبعا بمفكري ما بعد الحداثة في فرنسا الذين أعادوا تكوين المشهد الفكري، في النصف الثاني من القرن المنصرم على نحو تغيرت معه مفهوماتنا للغة والفكر والمعرفة والحقيقة. غير أن تشومسكي آثر السير بفكره إلى الوراء، لإحياء ما مات أسئلة أفلاطون ديكارت وراسل حول معرفة المعرفة. ولذا عندما سأله عبد الوهاب أثناء مجيئه

إلى القاهرة محاضرة منذ سنوات، عن موقفه من مفكري ما بعد الحداثة، أجابه بلهجة جافة وصارمة: إنها ثرثرة، المثقفين الفرنسيين الذين يجلسون في المقاهي للكلام على ما لا يفيد"[٣٢].

أيضاً يرى علي حرب الأمر نفسه مع شأن العقل، فحقيقة العقل تتّصل بقوة بتحوّلات مفهومه وتعقيداته، ويستشهد في هذا الرأي بتجربة كنط في نقد العقل، إذ قال: "كذلك أمر العقل: فماهيته لا تنفصل عن تاريخ مفهومه، بكلّ تراكماته وتحوّلاته، وبكلّ تكثّره وغناه، وبكلّ إشكالياته وتعقيداته، أي بكلّ علائقه المتشابكة مع سواه من المفاهيم، كما تشهد على ذلك تجربة كنط في «نقد العقل»"[٣٣].

ويستنج علي حرب أنّ المعرفة للمعرفة تزيد طبائع الأشياء تعقيداً وتزيدنا ابتعاداً عن ماهيات مفاهيمها، فإنّ "مصدر التعقيد ليس طبائع الأشياء وما يكتنفها من أسرار، بل ما يُنتَج حولها من الخطابات والنصوص، أو ما يتراكم بشأنها من المنظومات العقائدية والحمولات الأيديولوجية، أو ما يتكدّس بصددها من نماذج التفسير وأنظمة المعارف، بهذا المعنى لا تُبلغ البداهة الأولى ولا الكلام الأوّل، بل كلّ معرفة بشيء هي معرفة للمعرفة، وكلّ كلام على موضوع هو كلام على الكلام نفسه، من هنا فإنّ ما يُقال من جديد حول شيء من الأشياء، لا يزيدنا اقتراباً من ماهيته، بل على العكس يزيده تعقيداً والتباساً، بقدر ما يُنشئ صلات جديدة بينه وبين من سواه من الأشياء، من جراء توسيع حقول المعرفة وتراكم أنظمة الفكر أو من جرّاء تشابك الدلالات وكثافة المفهومات"[٣٤].

"في اللوغوس الألفاظ هي تصورات ومقولات. والعبارات قضايا ومقولات. والكلام قياس و استدلال. بينما الألفاظ في النص هي صور واستعارات. والعبارات رؤى وإشارات، والكلام حقول دلالات. في اللوغوس كل كلام هو نظام متسق ومعنى صريح ودلالة متطابقة. بينما كلام النص رموز موحية ومعان فائضة ودلالة متعددة. وفي اللوغوس المعرفة بحث ونظر، افتراض وبرهنة، تساؤل وتشكيك. وفي النص المعرفة حدس واشراق وكشف. وفي اللوغوس تنتج الأفكار وفقا لقواعد المنطق، أما في النص فإن المعاني تولد وفقا لقواعد اللغة، والمجاز. وأخيرة، في اللوغوس ثمة وجهة غالبة من الكثرة إلى الوحدة ومن الاختلاف إلى التشابه، بينما ثمة امكان لأن ننحو مع النص من الوحدة إلى الكثرة ومن المؤتلف إلى المختلف"[٣٥].

ويذكر علي حرب أنّ المفاهيم المتعارضة تتلاءم داخل الفكر، فالأفكار هي روابط في تحوّل دائم، إذ "أنّ فهم ما يحدث يَحمل على تجاوز منطق الماهيات الثابتة والهويّات الصافية والمحمولات المتطابقة التي تُطْبِق على العقل وتضع الفكر بين فكّي الإحراج، نحو منطق مختلف هو منطق العلاقات والتحوّلات، فالمفاهيم المتعارضة لا ينفي بعضها بعضاً بل هي تتعايش وتتساكن داخل الفكر، بما هو علاقة مركّبة ومتوتّرة وملتبسة تشتبك فيها الرغبة والمعرفة والذائقة والسلطة، من هنا ليست الأفكار تصوّرات مطابقة للعالم تحتاج إلى التطبيق، بقدر ما هي شبكات التحويل الواقع هي نفسها في تحوّل مستمر"[٣٦].

ويذهب علي حرب إلى أنّ فهم الذي يحدث بإنتاج لغة مفهومية مختلفة هو المهم في النشاط الفكري، إذ يُتاح ولوج مناطق حادثة للتفكير، فإنّ "النقد الفعّال، أكان تفكيكياً أم حفرياً أم تحت أي اسم آخر، يُسفِر عن إمكانيات جديدة، تتيح على الأقل تحريك الفكر الراكد بإعادة طرح الأسئلة، أو بزحزحة المشكلات العالقة، أو بالفكاك من الثنائيات الخانقة التي تحكَّمت في العقول طوال عقود، والتي لم يعدّ لها الآن من حصيلة سوى إعادة إنتاج الهامشية الفكرية والهشاشة المفهومية، هذه هي ثمرة الفاعلية النقدية: إعادة الفهم باقتحام مناطق جديدة للتفكير أو بفتح الفكر على ما كان يستبعده بالذات، وهذا هو المهم في النشاط الفكري: فهم ما يجري بابتكار لغة مفهومية مغايرة، تعيد قراءة العالم بتحرير الأحداث والأفعال والأشياء من الغلافات الماورائية والتهويمات المثالية والكلّيات المطلقة، وسواها من الحُمولات الأيديولوجية التي تُحيل ما يقع إلى مجرَّد تصوّرات بسيطة أو مقولات ضيّقة أو نظريات مغلقة"[٣٧].

ويشترط علي حرب لإعادة إنتاج الأبنية الفكرية مغادرة منطق التطابق نحو منطق الحدث، فالاختيار من بين الثنائيات يُعدُّ عقيماً فكرياً ولا يُعيد بناء شيء، إذ "ليست المسألة أنْ تختار بين التقليد والحداثة أو بين الدين والعلمانية أو بين اللاهوت والناسوت أو بين الروح والمادة أو بين الحرية والسلطة، وسوى ذلك من الثنائيات العقيمة المهيمنة على ساحة الفكر، وإلاّ كيف نفهم مثلاً أنّ بعض المجتمعات، كالمجتمع الياباني، تنخرط في صناعة أحدث الحداثة بأقدم التقاليد وأعرقها؟ المسألة هي أنْ نفهم كيف أنّنا نعيد إنتاج أبنية اللامعقول واللاهوت والاستبداد والتخلّف، بعد كلّ هذه المساعي من أجل العلمانية والعقلانية والتقدّم والحرية، الأمر الذي يتطلّب تجاوز منطق الماهيات والمحمولات نحو منطق العلاقات والتحوّلات"[٣٨].

إنّ الثنائيات قد شكَّلت الأطر المفهومية للقراءة، فإنّ "ثنائية التأخّر والتقدّم وسواها من الثنائيات كالدين والعلمانية أو التراث والحداثة، قد شكَّلت الأطر المفهومية التي قرأ من خلالها المفكِّرون العرب، منذ عصر النهضة، واقع مجتمعاتهم وهويَّتهم الثقافية وعلاقتهم بالعالم والآخر، في ضوء الحدث الغربي الذي فاجأهم بقدر ما أيقظهم من سباتهم التاريخي، ولا شكّ أنّ هذه الإشكاليات بما انطوت عليه من الأسئلة وبما تولَّد عنها من الإجابات، قد حرَّكت يومئذٍ الفكر الراكد على الساحة الثقافية في العالم العربي والإسلامي، ولكنّها قد استنفذت نفسها الآن، وأمست غير منتجة، بل باتت تحول دون ممارسة حيوية التفكير وتعرقل عملية الإنتاج المعرفي والإبداع الثقافي، بعد كلّ ما جرى، خلال هذا القرن، من التحوّلات أو الانهيارات التي أصابت صيرورة النهضة أو مشروع التقدّم أو مسيرة الثورة أو عملية التنمية والتحديث، من هنا الحاجة إلى نقد المقولات والشعارات الحديثة، لابتكار لغة جديدة تكون أكثر مفهومية وفاعلية في قراءة العالَم والتعاطي مع الواقع، فلا يجدي فكراً التعاطي مع القضايا أو معالجة المسائل وكأنّ شيئاً لم يحدث، فالتقدّم قد تُرْجِم تخلفاً أو عجزاً، بقدر ما جرى التفكير فيه كنموذج مُسْبَقٍ أو جاهزٍ، لأنّ من انطلق من فكرة مسبقة لكي يتقدَّم على أساسها، يظل متأخراً عنها، وفكرة العلمانية تراجعت، بقدر ما جرى التعامل

معها بعقلية أصولية أو كديانة حديثة، والعقلانية أنتجت اللامعقول بقدر ما جرى تقديس العقل أو التعامل معه بصورة غير معقولة، لأنّ من قدَّس شيئاً وقع أسيره أو ضحيّته"[٣٩].

وعليه يُحدِّد علي حرب المطلوب منّا بأنْ نفهم ما يحدث بخَلْق لغة مفهومية خالقة لحدث جديد لا تدّعي القبض على الحقيقة،

وعليه يكون "بهذا المعنى ليس المطلوب أنْ نستعيد هوية لنا مفقودة، ناسوتية أو لاهوتية، بل أنْ نفهم ما يجري لكي نساهم في صناعة العالم الذي لا ينفكّ يتحوّل، وأنْ نتغيَّر عمّا نحن عليه، بخلق لغة مفهومية جديدة تنسج علاقات مغايرة مع الحقيقة، ولذا ليس التفكيك نقضاً للتصوّرات، بقدر ما هو خلق موضوعات جديدة للتفكير تتغيّر معها جغرافية المعنى وعلاقات القوة أو أنظمة المعرفة وخارطة السلطة، بكلام آخر: ليس التفكيك تصفية لِما يوجد أو هدماً لِما أنجز، بقدر ما هو اعتراف بالموجود الذي يستبعده القائل أو المفكِّر في ما يقوله أو يفكِّر فيه، أي اعتراف بالنصّ وأثره في انبثاق الرؤية وإنتاج المعنى، أو في تشكيل الموضوع وخلق المفهوم، والتعامل مع الأفكار من غير نصّها الذي هو جسدها وأرضها المحايثة وخارطتها الملموسة، هو أقرب ما يكون إلى التهويمات المثالية والهوامات الأيديولوجية، إذ لا وجود في النهاية إلاّ النصوص بشبكاتها التحويلية ومفاعليها المفهومية"[٤٠].

ويرى علي حرب أنّ في المنطق التحويلي تُعدّ المعرفة قراءة تُنتِج حدثاً جديداً وليست مرآةً تعكس الواقع إذ تتجاوز الماهيات باتجاه التشكيل، فإنّ "مع المنطق التحويلي يجري تجاوز المفهوم «المرآوي» للفكر، بقدر ما يجري تجاوز المفهوم «الماهوي» للكائن، في المنطق الصوري المعرفة هي صورة، أي وصف مطابق لماهية الشيء أو انعكاس تامّ للواقع، بكلام أصرح: في المنطق الصوري العقل هو «مرأة العالم»، من هنا احتلّ مفهوم «المرآة» موقعاً بارزاً في تاريخ الفكر من أفلاطون حتى المعاصرين، مع المنطق التحويلي يجري كسر مفهوم المرأة، إذ المعرفة هي هنا «قراءة» لا صورة، وهي قراءة لأنّ الفكر لا ينفكّ عن اللغة التي هي وسيط انطولوجي لا يمكن تجاوزه، إنّها على ما يقول جياني فاتيمو: «الثالث» الذي لا يمكن رفعه بين الأنا والعالم، أو بين الذات والغير، أو بين الفكر والواقع"[٤١].

ويقرِّر علي حرب أنّ توليد المعاني وتحويل الدلالات هو نتيجة لازمة للتفكير باستعمال تكوثر النحو وحركة الدلالة، إذ تستحيل المطابقة بين النصّ وشروحاته، فإنّ "التفكير بوصفه قراءة هو نسخ وتبديل، أو صرف وتحويل، سواء تعلَّق الأمر بشرح نصّ أو تأويل حديث أو تفكيك خطاب أو ترجمة كلام من لغة إلى أخرى، فما دمنا نفكِّر وننطق، لا مفرّ من توليد المعاني وتحويل الدلالات، بما يؤدّي إلى تغيير العلاقات بين الكلمات والأشياء، وحدها القراءة التحويلية تتيح لنا أن نفسِّر اختلاف الشروحات للقول الواحد، من خلال توليدات النحو وألاعيب الدلالة، أو من خلال توليفات الخيال ومركَّبات الفهم، وحده ذلك يفسَّر

استحالة التطابق بين النصّ وشرحه، أو بين النصّ وترجمته، أي كون كلّ قراءة لها مفعولها التوليدي وطابعها التحويلي؛ إذ كلّ كلام ينطوي على زحزحة للدلالة، ولو كان مجرَّد شرح وتفسير؛ وكل قول هو إعادة تركيب ولو كان مجرَّد نقل أو ترجمة"(٤٢).

ويذهب علي حرب إلى أنّ شروحات وترجمات النصّ تُعدّ قراءات تحويلية بلغة مفهومية تنتج علاقات للنصّ مع الحدث الجديد الذي ننتجه من النصّ الأصلي نفسه بتراكم معانيه وتاريخ مفاهيمه التي لا تطابقها المفاهيم الجديدة التي نتجت عنها، فإنّ "هذا ما يفسِّر لنا عجز المؤلِّف عن استيفاء الكلام على مقاصده بالرغم من كثرة الشروحات والاستطرادات، أي كون كلّ شرح هو صرف للألفاظ بقدر ما [هو] خروج على الدلالات، بالطبع هناك كلام يتّصف باللغو والثرثرة أو بالدور والخواء، ولكن مثل هذا الكلام لا يعدّ شرحاً، فالشرح المثمر والمفيد له كينونته الخاصّة بوصفه جسداً لغوياً مولّداً للمعنى، وهذا شأن الترجمة: لا معنى ولا مفهوم يبقى على ما هو عليه بعد ترجمته، لأنّ الترجمة، أياً كانت دقّتها وأمانتها، هي أيضاً نوع من القراءة التحويلية، يُعاد عبرها خلق النصّ من جديد، بإعادة تشكيل المعاني وتركيب المفاهيم أو تركيب الأقوال، ذلك أنّه لا مجال لإفناء الفرق بين لغة وأخرى على المستويات الصرفية والنحوية والدلالية والمفهومية، فضلاً عن المستويات البيانية والفضاءات المجازية والآليات التأويلية، فلكلّ لغة جسدها الذي لا يمكن اختزاله إلى قضية منطقية أو إلى جملة نحوية أو إلى صيغة بلاغية، من هنا استحالة الوصول إلى ترجمات مطابقة مع نصّها الأصلي، تشهد على ذلك ترجمات الكوجيتو الديكارتي إلى اللغة العربية (أنا أفكر إذن أنا موجود)، باختلاف صيغها وتعدّد نماذجها، نحن هنا إزاء صراع بين الترجمات هو صراع بين التأويلات، وإذا كان هذا الأخير لا يُحسَم، فالأوّل أيضاً يتعذّر حسمه، والأجدى فتح الترجمة على القراءة بمفهومها التوليدي والتحويلي"(٤٣).

وعليه يوضِّح علي حرب الفارق بين منطق المطابقة ومنطق التحويل، إذ "في المنطق الأوّل ثمّة طبائع ثابتة ومرايا عاكسة، في المنطق الثاني يجري تهشيم المرايا لإعادة تشكيل الموضوعات، أي ثمة سلاسل متّصلة من التأويلات، أو ثمّة شبكات من المفاهيم يجري تفكيكها وإعادة تركيبها باستمرار"(٤٤).

المبحث الثالث

التطابق والتشكيل

يرى علي حرب أنّ في المنطق التحويلي يتمّ اجتياز مفاهيم التطابق والمشاكلة، التي ينبني عليها منطق الماهية، نحو مفاهيم الحدث والخَلْق والتشكيل، فمنطق التطابق يرتكز على التسجيل، في حين يرتكز منطق التشكيل على التحويل، إذ قال: "إنّ تجاوز المفهوم الماهوي للكائن والمرآوي للفكر، يعني في الوقت نفسه تجاوز المفهوم «التطابقي» للحقيقة، فالتطابق هو الأساس في منطق الهوية الذاتية والمصداقية

الموضوعية، ومن التطابق تتفرَّع بقية المفردات التي تصف النشاط المعرفي والفكري، كالتملّك والقبض، أو الصورة والنسخة، أو الخبر والإعلام، أو الانعكاس والتسجيل، هذا ما يحاول المنطق التحويلي تجاوزه نحو مفاهيم الخلق والتشكيل أو المراهنة والسبق أو اللعب والمجازفة، في المنطق الأوّل الحقيقة هي ما ينبغي ملاحظته أو تسجيله أو الإخبار عنه أو البرهنة عليه وإقراره، في المنطق الثاني الحقيقة هي ما يمكن خلقه من العوالم، سواء تعلَّق الأمر بابتكار لغات ونصوص، أو ببناء أنظمة ومؤسَّسات، أو بتكوين مجالات ومساحات، ولذا فهي هنا نتاج لا أساس، وخبرة لا خبر، وتشكيل لا تسجيل، ورسالة لا صورة، وعلاقة لا ماهية"(٤٥).

ويقرِّر علي حرب أنّ الحقيقة في ضوء منطق التطابق تكون مجرَّدة لأنّها كلّية وليست عينيّة، في حيت تكون على وفق منطق التشكيل عينيّة ملموسة فهي مرتبطة باللغة وليس بحقائق متعالية، إذ "يتجلّى الفرق بين منطق المطابقة والتسجيل من جهة، وبين منطق التشكيل والتحويل من جهة أخرى، على أكثر من صعيد: في منطق التطابق والتسجيل الحقيقة هي مجرَّدة أو مفارِقة، أي مجموعة من القواعد الكلّية أو جملة من المبادئ العامّة، في منطق التحويل ليست الحقيقة ذهنية، بل عينيّة وملموسة، لأنّها لا تنفكّ عن اللغة، نحن لسنا هنا أمام حقائق متعالية أو أحكام صرفة أو كلّيات مطلقة، بل إزاء تراكيب لغوية وتشكيلات خطابية، هي جسد المعنى وأرض العقل وخريطة المفهوم، اللغة في المنطق التسجيلي والمرآوي هي أداة أو لسان حال، في المنطق التحويلي هي بيئة الفهم ومبنى الفكر ووسط التواصل، إذ من دونها لا إمكان لإقامة صِلات بين البشر ثم بينهم وبين العالم، وإذا كانت علاقة الإنسان بذاته هي علاقة فكرية بحسب كوجيتو ديكارت، فإنّ ما تناساه ديكارت هو أنّ علاقة المرء بفكره وبالعالم هي علاقة لغوية، بهذا المعنى تتعدّى العلاقة باللغة المستوى الأداتي إلى المستوى الأنطولوجي، لكي تصبح ليس فقط «مَسْكَن الكائن»، بل وسطه الذي لا فكاك له منه"(٤٦).

ويذهب علي حرب إلى أنّ الكائن في منطق التطابق يتمّ التعامل معه بوصفه جوهراً محلاً للإسناد فيكون موضوعاً للذهن، في حين أنّ في ضوء منطق التشكيل يتمّ التعامل مع الكائن بوصفه ذا بعداً حدثيّا فيعاد تكوينه باستمرار لأنّه تفكيك، إذ قال: "تبدو الحقيقة في المنطق التقليدي، الصوري أو المتعالي، ذات قِوام جوهراني وحملي، إذ الكائن يعامل هنا كجوهر يقبل الحمل والإسناد، أو كموضوع يقبل التمثّل والتصوّر، في المنطق التحويلي الحقيقة هي ذات بُعد إنتاجي، لأنّ الكائن ذو بعد حدثي، بكلام آخر: الكائن بحسب المنطق الأوّل هو موضوع للوعي أو للذهن، ولذا فأداة المعرفة هي التصوّر المطابق، في حين أنّ الكائن بحسب المنطق الثاني هو ما يحدث، ولذا فالأداة هي المفهوم الذي يقدِّم صياغة للحدث بقدر ما يحاول قراءته، والذي يُعاد تكوينه باستمرار، عبر عملية انخراطه في القراءة والتشخيص أو في الشرح والتفسير أو في التشريح والتفكيك، بهذا المعنى كلّ مفهوم جديد هو تفكيك، بقدر ما هو تحويل تتولَّد معه علاقة جديدة مع الحقيقة، هي تَغيّر في جغرافية المعنى وعلاقات الواقع"(٤٧).

ويميّز علي حرب بين الحقيقة ذات الطابع البرهاني والحجاجي في ضوء منطق التطابق والحقيقة ذات الطابع السردي على وفق منطق التشكيل، إذ "تبدو الحقيقة في المنطق الصوري، بوصفها ثمرة البرهان والحجاج، لأنّ الفكر يشتغل هنا بآليات المقايسة والمماثلة، للاستدلال على وجود الغائب قياساً على الشاهد، [في حين أنّ] في المنطق التحويلي تبدو الحقيقة ذات طابع سردي، أو روائي، لأنّ الكائن ليس ما نستدلّ على وجوده على سبيل الوجوب أو على نحو محكم، وإنّما هو ما يحدث ويحتاج إلى أنْ يُقرَأ بلغة مفهومية، إنّه ما يجيء دوماً على نحو مفاجئ وغير متوقع، ولذا فالفكر ليس هنا مجرَّد استدلال أو تسويغ، بقدر ما قراءة ورواية"(٤٨).

"بالفعل، فالبرهان، يقوم على ايجاد الروابط بين الألفاظ، ويبحث عن التشابه الأصلي من وراء الاختلافات. وهكذا تبدو الأشياء عند أفلاطون مثلا عبارة عن من ومعان كلية. وهي عند أرسطو اصوره وماهيات ثابتة. والمثل على اختلافها وتفاوتها تتدرج في تصاعدها نحو فكرة كلية أو معنى واحد. وكذلك، فإن الأشياء الجزئية والكثيرة والمحسوسة تنتهي بها غائيتها عند المعلم الأول، إلى عقل مجرد، إلى عقل خالص، هو صورة ثابتة وفكرة أزلية والمحرك لا يتحرك"(٤٩).

ويوضِّح علي حرب أنّ الحقيقة في منطق التطابق تستبعد المفارقات، في حين أنّها في ضوء منطق التشكيل تكون متّسمة بالاختلاف والشقاق، فهنا "تتّخذ الحقيقة في المنطق الصوري، طابع اليقين والثبوت، إذ هي ما يسبق التجربة ويتعالى عليها، ولذا فهي تستبعد المفارقات والتناقضات، إنّها ذات وجه أحادي ومنه ديكتاتوري، [في حين أنّ] في المنطق التحويلي ترتبط الحقيقة بالحدث بوصفها أثراً من آثاره، سواء تعلَّق الأمر بحدثٍ كوني أو طبيعي، اجتماعي أو سياسي، تقني أو علمي، فكري أو فني، ولذا فهي ليست قبلية ولا بَعدية، بل محايثة، كذلك ليست هي ضرورية ولا اعتباطية، بقدر ما هي لغة للتفاهم أو ساحة للتواصل أو حيّز للتبادل، وأخيراً لا تخلو الحقيقة في المنطق التحويلي من المفارقات، بقدر ما يتّسم الكائن بالاختلاف والشقاق، أو بقدر يبدو الفكر توتّراً بين الحدود، أو بقدر ما يقوم الخطاب على التعارض بين الرؤية والعبارة أو على عدم التطابق بين القصد والقول"(٥٠).

وعليه يذهب علي حرب إلى أنّ الأشياء في منطق التطابق تستمد مشروعيتها من أساسها أو مبدئها، في حين في ضوء منطق التشكيل يُعدّ الفكر قراءة للحدث لأنّه ليس تأسيساً أو محاكمة، إذ "إنّ ضرب مفهوم التطابق يفضي إلى التحرّر من مفهوم التأسيس الذي يشكِّل الضمانة في الفكر التقليدي والمنطق الصوري، فما يُبنى على أساسٍ هو الصحيح والصادق أو الموثوق من المعلومات والمعارف أو من النظريات والمذاهب، ولذا فالفكر يشتغل هنا بوصفه عملية تأسيس أو تأصيل، قوامها رد الوقائع والظواهر أو الذوات والأفعال أو الكائنات والأشياء إلى مبادئها الأولى وعللها الأصلية، كتفسير العالم من خلال مثال

«الخير» عند أفلاطون أو «واجب الوجود» عند الفارابي أو «مبدأ العلّة الكافية» عند سبينوزا أو كتفسير العلاقات الاجتماعية من خلال بنية أوّلية، والوعي من خلال نماذج أصلية، واللغة من خلال كلّيات نحوية، غير أنّ المبادئ والعلل والأصول والنماذج تكون دوماً ثابتة أو مفارقة أو مسبقة أو كاملة، الأمر الذي يعني حلول التصوّرات الذهنية محل الأشياء العينية، هذا هو عمل التأسيس والتأصيل: اختزال الأشياء من خلال معنى مفارق أو قانون مجرَّد أو مبدأ أوّل وحيد وثابت، يستبعد كلّ ما يجري في أتون التجربة وعلى أرض المحايثة، في المنطق التحويلي لا تستمد الأشياء مشروعيتها أو معقوليتها من مبدئها أو أساسها أو علّتها، أو من أي شيء يقع خارجها، إذ الشيء هو هنا شكل تواجده أو نمط تحقّقه أو حقل إمكانياته أو نطاق ممارسته أو شبكة علائقه أو سيرورة تحوّله، لذا ليس الفكر هنا تأسيساً أو محاكمةً، بقدر ما هو قراءة للحدث، للمراهنة على ما يمكن أنْ يحدث؛ وليست الحقيقة حكماً على الواقع أو تملّكاً له، بقدر ما هي إنتاج وقائع جديدة، بهذا المعنى نحن لا نفكِّر لكي نصل إلى الأسس، وإنّما نفكِّر لكي نكشف ما تحجبه هذه الأسس، أي ما تخفيه العلّل أو تهمّشه القواعد أو تتستَّر عليه النماذج أو تطمسه المبادئ من الاختلافات والانشقاقات والثغرات أو من الصيرورات والتحوّلات والولادات"[٥١].

"المنطق، وبالأخص المنطق الصوري، لا يصف في النهاية سوى تلك العملية المتدرجة التي ينتقل بواسطتها الفكر من الموجودات الكثيرة إلى الوجود بذاته، أي الوجود بما هو وحدة تامة لا تعدد فيها ولا تنافر، فالحد أو التعريف بوصفه العنصر المقوم للبرهان، يرمي إلى تحديد جامع للشيء ويقود عدة مر الفرد إلى النوع ومن النوع إلى الجنس، أي من الجزئي إلى الكلي ومن الخاص إلى العام. إذن يقود إلى تصور واحد وشامل للكينونة، يماثل بين الكائن ونفسه. لذا، فالعقل الاستدلالي يبحث عن الهوية أو المعنى المشترك الذي يصدق على كل الألفاظ وعن اللفظ الذي يستغرق جميع المعاني"[٥٢].

ويقرِّر علي حرب أنّ الأفكار هي الأحداث التي تنتج الحقائق، فالتفكير يسهم في استعادة الحدث لقوّته بإتاحة تغيير شبكة العلاقات بالواقع والحقيقة، فنحن "لا نفكِّر بأنْ نستدلّ ونحاكِم ونؤسِّس، لكي نتطابق مع مبدأ أو أصل أو تقليد؛ وإنّما نفكِّر بأنْ نقرأ أو نفهم ونشخِّص، لكي نتحوّل عمّا نحن عليه، عبر المركَّبات المفهومية أو الصيغ العقلانية، التي تتيح تشكيل مساحة للقاء مع الغير، بقدر ما تتيح تغيير العلاقة بالواقع والحقيقة، من خلال تشكيل موضوعات جديدة للتفكير، بهذا المعنى يسهم التفكير في أنْ يستعيد الحدث قوته، وذلك بقدر ما يجري التعامل مع الأفكار والمفاهيم بوصفها أحداثاً مولِّدة للحقائق، أي بوصفها أشياء لها كينونتها، أو أقوالاً تفرض نفسها وتمتلك وقائعيّتها"[٥٣]. "من وراء خطاب العقل، واكتشاف الأسطوري فيما وراء العمي وعودة المقدس إلى مسرح الحياة. فدعاه ذلك إلى إعادة النظر

بمفهوم وقد تنظر في أحوال الإنسانية المعاصرة، فاستلفته بروز اللامعقول التقدم ذاته. وهو المفهوم الذي شكل عنوان الحضارة الغربية وبه تباهت على سائر الحضارات"[٥٤].

ولا يقرأ علي حرب ديكارت إلاّ بمنطق التشكيل ناظراً إليه بما أحدثه من افتتاح حقلٍ جديدٍ للتفكير، فإنّ "بحسب هذا المنطق في التعامل الحَدَثي مع الفكر، لا نقرأ كوجيتو ديكارت بمنطق الاستدلال الذي يصح أو لا يصح، بل نرى إلى ما أحدثته المقولة الديكارتية، بافتتاحها حقلاً جديداً للتفكير، من التغيّر في العلاقة بين الذات والفكر والوجود، وهذا ما حجبه ديكارت في خطاب الذات بوصفها جوهراً يفكر بمعزل عن الجسد، أي كون نصّ الكوجيتو هو جسد لغوي له كينونته الملموسة ومفاعيله التي لا تنتهي أو لم تَنْتَهِ بعد، كما هو شأن كلّ حدث"[٥٥].

أيضاً لا يقرأ علي حرب كنط إلاّ على وفق الحدث الفكري ومفاعيله المفهومية وليس تقريراً لحقائق متعالية، إذ يقول: "لا نقرأ كنط بمنطق المحاكمة للعقل، وفقاً لقوانين خالدة أو بحثاً عن حقيقة متعالية، بل نرى إلى الحدث الفكري ومفاعيله المفهومية، أي إلى التغيير الذي أحدثه نقد كنط للعقل، في مفهومات العقل والفهم والنقد، وفي خارطة الفكر عامّة، وعلى النحو الذي انبثقت معه إمكانيات جديدة للتفكير، سواء في الحقل أو في المنهج أو في الأدوات المفهومية، وهذا ما حجبه كنط في دعاويه وأطروحاته: أي كون النقد الكنطي ليس محاكمة نهائية بقدر ما هو إمكانية دائمة للتفكير، وليس تقريراً لحقائق متعالية أو وصفاً لمفاهيم محضة، بقدر ما هو تجربة غنية هي تجسيد لمشروع وجود ونمط حياة، أو بقدر ما هو نصّ ذو كثافة مفهومية خارقة، تجعله باستمرار حقلاً لقراءات ترى إلى أقاليمه اللامعقولة أو تحاول خرق كثافته اللامفهومة، وهذا ما يمنح النصّ قوّته ويتيح له أنْ يمارس صموده وراهنيّته"[٥٦].

كما أنّ علي حرب لا يقرأ تأسيس هوسرل للفلسفة بوصفها علماً صارماً في ضوء منهج التصفية يحوّل الماهيات إلى وقائع فكرية، إذ يقول: "لا نقرأ هوسرل لكي نقتنع معه بتأسيسه للفلسفة كعلم صارم، يتيح للأنا المتعالي القبض على الماهيات الصافية، بواسطة منهج الإحالة والتصفية، وإنّما نقرأه لكي نجد عالماً فكرياً تشكَّل معه، على ما تجسَّد ذلك في شبكة المفاهيم التي نسجها، والتي أحدثتْ تغييراً في جغرافية الوعي وفي بنية المعنى، وهذا ما حجبه هوسرل في خطاب التأسيس، أي كونه راكم نصوصاً وكدّس مفاهيم هي من الغموض والتعقيد والالتباس والكثافة ما يجعل من المتعذِّر تملّكها والقبض على ماهيتها، وهنا وجه المخاتلة في خطاب الظاهريات المحضة والمتعالية: إنتاج التعقيد للوصول إلى التصفية، افتتاح عالم بدلاً من تأسيس علم، تحوّل الماهيات المحضة إلى وقائع فكرية وكائنات فعلية، هي أقوال كثيفة وخارقة تحتّل موقعها على ساحة الفكر بقدر ما تترك أثرها الدائم في حياة الأفكار وتطوّر المفاهيم"[٥٧].

نتائج البحث

إنّ من أهم النتائج التي توصَّلنا إليها في بحثنا هذا ما يأتي: يعطي علي حرب معنى جديداً لمفهوم التفكير، فالتفكير هو إنتاج مفاهيم جديدة من مفاهيم النصوص المقروءة تتكوّن معها علاقات مغايرة مع الحقيقة لا على سبيل التطابق، فليس التفكير حلاً للتعارض بين الثنائيات والأطراف، وإنّما هو تحويل للعلاقات، لأنّ المنطق العلائقي والتحويلي يتعامل مع الحقيقة بوصفها المقدرة على الإحداث وليس بوصفها المطابقة مع الواقع، فالحدث الفكري شأنّه أنْ نقرأه كي نتغيَّر.

١- علي حرب يبني المنطق التحويلي على أساس العلاقة المتحوِّلة، في حين أنّه يذكر أنّ المنطق الصوري مبني على أساس الماهية الثابتة، وعلى وفق هذا يفسِّر علي حرب حقيقة العدد بأنّها ما يتولَّد عن علاقاته بغيره من الحقائق الرياضية، أيضاً يُفسِّر حقيقة اللغة بأنّها كلّ ما يمارسه أو يتداوله أو ينتجه أهل اللغات والناطقون بها، ويرى الأمر نفسه مع شأن العقل، فحقيقة العقل تتّصل بقوّة بتحوّلات مفهومه وتعقيداته.

٢- يُقارن علي حرب بين عدّة مفاهيم على أساس منطق التطابق ومنطق التشكيل، كمفهوم الحقيقة والكائن والأشياء فأنّ الحقيقة في ضوء منطق التطابق تكون مجرَّدة، في حين تكون على وفق منطق التشكيل عينيّة ملموسة، والكائن في منطق التطابق يتمّ التعامل معه بوصفه جوهراً محلاً للإسناد فيكون موضوعاً للذهن، في حين أنّ في ضوء منطق التشكيل يتمّ التعامل مع الكائن بوصفه ذا بعداً حدثيّا فيعاد تكوينه باستمرار، والأشياء في منطق التطابق تستمد مشروعيتها من أساسها أو مبدئها، في حين في ضوء منطق التشكيل يُعدّ الفكر قراءة للحدث لأنّه ليس تأسيساً أو محاكمة.

هوامش البحث

(١) حرب، د. علي، الماهية والعلاقة- نحو منطق تحويلي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٨م، ص٤١.
(٢) حرب، د. علي، الماهية والعلاقة- نحو منطق تحويلي، ص٤١.
(٣) حرب، د. علي، الفكر والحدث- حوارات ومحاور، دار الكنوز الأدبية، بيروت، ط١، ١٩٩٧م، ص٦٨-٦٩.
(٤) حرب، د. علي، الماهية والعلاقة- نحو منطق تحويلي، ص٤٢.
(٥) المصدر نفسه، ص٤٢.
(٦) حرب، د. علي، الإنسان الأدنى- أمراض الدين وأعطال الحداثة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط٢، ٢٠١٠م، ص١٦٢.
(٧) حرب، د. علي، الماهية والعلاقة- نحو منطق تحويلي، ص٤٣.
(٨) حرب، د. علي، الماهية والعلاقة- نحو منطق تحويلي، ص٤٣. أيضاً يُنظر: حرب، د. علي، تواطؤ الأضداد- الآلهة الجُدد وخراب العالم، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠٠٨م، ص٦٨-٧٠.
(٩) حرب، د. علي، الماهية والعلاقة- نحو منطق تحويلي، ص٤٣. حرب، د. علي، تواطؤ الأضداد- الآلهة الجُدد وخراب العالم، ص٧٠-٧٢.
(١٠) حرب، د. علي، الماهية والعلاقة- نحو منطق تحويلي، ص٤٣.

(١١) حرب، د. علي، التأويل والحقيقة- قراءات تأويلية في الثقافة العربية، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط٢، ٢٠٠٧م، ص٢٢.
(١٢) حرب، د. علي، الماهية والعلاقة- نحو منطق تحويلي، ص٤٣-٤٤.
(١٣) حرب، د. علي، الفكر والحدث- حوارات ومحاور، ص١٣٧-١٣٨. أيضاً يُنظر: حرب، د. علي، تواطؤ الأضداد- الآلهة الجُدد وخراب العالم، ص٧٢-٧٣.
(١٤) حرب، د. علي، الماهية والعلاقة- نحو منطق تحويلي، ص٤٤.
(١٥) المصدر نفسه، ص٤٤.
(١٦) مزعل، عدي حسن، الخطاب النقدي عند علي حرب، رسالة ماجستير، إشراف: د. فيصل غازي مجهول، كلية الآداب، جامعة بغداد، قسم الفلسفة، غير منشورة، ٢٠٠٩م، ص٢٢٧.
(١٧) حرب، د. علي، الماهية والعلاقة- نحو منطق تحويلي، ص٤٤.
(١٨) المصدر نفسه، ص٤٤-٤٥.
(١٩) حرب، د. علي، حديث النهايات- فتوحات العولمة ومآزق الهوية، المركز القافي العربي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٤م، ص٧٨.
(٢٠) حرب، د. علي، الماهية والعلاقة- نحو منطق تحويلي، ص٤٥.
(٢١) المصدر نفسه، ص٤٥.
(٢٢) المصدر نفسه، ص٤٥.
(٢٣) حرب، د. علي، الماهية والعلاقة- نحو منطق تحويلي، ص٤٥-٤٦. قارن: النشار، د. علي سامي، المنطق الصوري منذ أرسطو حتى عصورنا الحاضرة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط٥، ٢٠٠٠م، ص٥٦-٥٨.
(٢٤) حرب، د. علي، الماهية والعلاقة- نحو منطق تحويلي، ص٤٦.
(٢٥) حرب، د. علي، التأويل والحقيقة- قراءات تأويلية في الثقافة العربية، ص٢٤.
(٢٦) حرب، د. علي، الماهية والعلاقة- نحو منطق تحويلي، ص٤٦.
(٢٧) المصدر نفسه، ص٤٦-٤٧. قارن: محمود، د. زكي نجيب، المنطق الوضعي، ج١، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ملتزمة الطبع النشر: مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط١، ١٩٥١م، ص٢٣٥-٢٣٧.
(٢٨) حرب، د. علي، الماهية والعلاقة- نحو منطق تحويلي، ص٤٧.
(٢٩) حرب، د. علي، التواطؤ الأضداد- الآلهة الجُدد وخراب العالم، ص٦٨.
(٣٠) حرب، د. علي، الماهية والعلاقة- نحو منطق تحويلي، ص٤٧.
(٣١) المصدر نفسه، ص٤٧.
(٣٢) حرب، د. علي، أصنام النظرية وأطياف الحرية- نقد بورديو وتشومسكي، سياسة الفكر (١١)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ٢٠١٠م، ص٨٠.
(٣٣) حرب، د. علي، الماهية والعلاقة- نحو منطق تحويلي، ص٤٧.
(٣٤) المصدر نفسه، ص٤٧-٤٨.
(٣٥) حرب، د. علي، التأويل والحقيقة- قراءات تأويلية في الثقافة العربية، ص٣٠.
(٣٦) حرب، د. علي، الماهية والعلاقة- نحو منطق تحويلي، ص٧٠.
(٣٧) حرب، د. علي، الماهية والعلاقة- نحو منطق تحويلي، ص٧٠. قارن: محمد، د. محمود محمد علي، المنطق الصوري القديم بين الأصالة والتبعية- قضايا وإشكاليات، الناشر: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط١، ٢٠١٣م، ص٤٢-٤٤.
(٣٨) حرب، د. علي، الماهية والعلاقة- نحو منطق تحويلي، ص٧٠-٧١.
(٣٩) حرب، د. علي، الفكر والحدث- حوارات ومحاور، ص١٧٢.
(٤٠) حرب، د. علي، الماهية والعلاقة- نحو منطق تحويلي، ص٧١.
(٤١) المصدر نفسه، ص٤٨.
(٤٢) حرب، د. علي، الماهية والعلاقة- نحو منطق تحويلي، ص٤٨. ٥٩. قارن: العابدي، فلاح، لباب المنطق،تقديم: د. أيمن المصري،ومضات للترجمة والنشر، بيروت، ط١،٢٠١٨م، ص٦٨-٦٩.

(٤٣) حرب، د. علي، الماهية والعلاقة- نحو منطق تحويلي، ص٤٩-٥٠.
(٤٤) المصدر نفسه، ص٥٠.
(٤٥) المصدر نفسه، ص٥٠-٥١.
(٤٦) حرب، د. علي، الماهية والعلاقة- نحو منطق تحويلي، ص٥١. قارن: السرياقوسي، د. محمد أحمد مصطفى، التعريف بمناهج العلوم، سلسلة التعريف بالمنطق ومناهج العلوم (٣)، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٩٩٤م، ٨٣-٨٥.
(٤٧) حرب، د. علي، الماهية والعلاقة- نحو منطق تحويلي، ص٥١.
(٤٨) حرب، د. علي، الماهية والعلاقة- نحو منطق تحويلي، ص٥٢. قارن: زيدان، د. محمود فهمي، الاستقراء والمنهج العلمي، الناشر: دار الجامعات المصرية، الاسكندرية، ط١، ١٩٧٧م، ص٦٧-٦٨.
(٤٩) حرب، د. علي، التأويل والحقيقة- قراءات تأويلية في الثقافة العربية، ص٣٠.
(٥٠) حرب، د. علي، الماهية والعلاقة- نحو منطق تحويلي، ص٥٢.
(٥١) المصدر نفسه، ص٥٢-٥٣.
(٥٢) حرب، د. علي، التأويل والحقيقة- قراءات تأويلية في الثقافة العربية، ص٣٠.
(٥٣) حرب، د. علي، الماهية والعلاقة- نحو منطق تحويلي، ص٥٣.
(٥٤) حرب،د. علي، خطاب الهوية- سيرة فكرية،منشورات الاختلاف،الجزائر،ط٢،٢٠٠٨م، ص١١٧.
(٥٥) حرب، د. علي، الماهية والعلاقة- نحو منطق تحويلي، ص٥٣.
(٥٦) حرب، د. علي، الماهية والعلاقة- نحو منطق تحويلي، ص٥٤. قارن: محمد، د. محمود محمد علي، المنطق الصوري القديم بين الأصالة والتبعية- قضايا وإشكاليات، ص٤٩-٥٠.
(٥٧) حرب، د. علي، الماهية والعلاقة- نحو منطق تحويلي، ص٥٤.

## قائمة المصادر


١- حرب، د. علي، أصنام النظرية وأطياف الحرية- نقد بورديو وتشومسكي، سياسة الفكر (١١)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ٢٠١٠م.
٢- حرب، د. علي، الإنسان الأدنى- أمراض الدين وأعطال الحداثة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط٢، ٢٠١٠م.
٣- حرب، د. علي، التأويل والحقيقة- قراءات تأويلية في الثقافة العربية، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط٢، ٢٠٠٧م.
٤- حرب، د. علي، التواطؤ الأضداد- الآلهة الجُدد وخراب العالم، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠٠٨م.
٥- حرب، د. علي، حديث النهايات- فتوحات العولمة ومآزق الهوية، المركز القافي العربي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٤م.
٦- حرب، د. علي، خطاب الهوية- سيرة فكرية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط٢، ٢٠٠٨م.
٧- حرب، د. علي، الفكر والحدث- حوارات ومحاور، دار الكنوز الأدبية، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.
٨- حرب، د. علي، الماهية والعلاقة- نحو منطق تحويلي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.
٩- زيدان، د. محمود فهمي، الاستقراء والمنهج العلمي، الناشر: دار الجامعات المصرية، الاسكندرية، ط١، ١٩٧٧م.
١٠- السرياقوسي، د. محمد أحمد مصطفى، التعريف بمناهج العلوم، سلسلة التعريف بالمنطق ومناهج العلوم (٣)، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٩٩٤م.
١١- العابدي، فلاح، لباب المنطق، تقديم: د. أيمن المصري، ومضات للترجمة والنشر، بيروت، ط١، ٢٠١٨م.

١٢- محمـــد، د. محمـــود محمـــد علـــي، المنطـــق الصـــوري القـــديم بـــين الأصـــالة والتبعيـــة- قضـــايا وإشكاليات، الناشر: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط١، ٢٠١٣م.

١٣- محمـــود، د. زكـــي نجيـــب، المنطـــق الوضـــعي، ج١، مطبعـــة لجنـــة التـــأليف والترجمـــة والنشـــر، ملتزمة الطبع النشر: مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط١، ١٩٥١م.

١٤- مزعـــل، عـــدي حســـن، الخطـــاب النقـــدي عنـــد علـــي حـــرب، رســـالة ماجســـتير، إشـــراف: د. فيصل غازي مجهول، كلية الآداب، جامعة بغداد، قسم الفلسفة، غير منشورة، ٢٠٠٩م.

١٥- النشـــار، د. علـــي ســـامي، المنطـــق الصـــوري منـــذ أرســـطو حتـــى عصـــورنا الحاضـــرة، دار المعرفـــة الجامعية، الإسكندرية، ط٥، ٢٠٠٠م.

**List of source**

1- Harib, Dr. Ali, Idols of Theory and Spectra of Freedom - Criticism of Bourdieu and Chomsky,The Politics of Thought (11), Arab Cultural Center, Beirut,1st Edition,2010 AD.

2- Harib, Dr. Ali, the Lower Man - Diseases of Religion and the Disorders of Modernity, The Arab Foundation for Studies and Publishing, Beirut, 2nd Edition, 2010 AD.

3- Harib, Dr. Ali, Interpretation and Truth - Interpretive Readings in Arab Culture, Dar Al-Tanweer for Printing, Publishing and Distribution, Beirut, 2nd Edition, 2007 AD.

4- Harib, Dr. Ali, Contradictory Collusion - The New Gods and the Destruction of the World, Manuscripts for Difference, Algeria, 1st Edition, 2008 AD.

5- Harib, Dr. Ali, Hadith of the Endings - The Conquests of Globalization and Identity Dilemmas, The Arab Cultural Center, Beirut, 2nd Edition, 2004 AD.

6- Harib, Dr. Ali, The Identity Speech - An Intellectual Biography, Al-Ikhtaf Publications, Algeria, 2nd Edition, 2008 AD.

7- Harib, Dr. Ali, Al-Fikr and Al-Hadath - Dialogues and Discussions, House of Literary Treasures, Beirut, 1st Edition, 1997 AD.

8- Harib, Dr. Ali, Essence and Relationship - Towards a Transformative Logic, Arab Cultural Center, Beirut, 1st Edition, 1998 AD.

9- Zidan, Dr. Mahmoud Fahmy, Induction and the Scientific Method, Publisher: Egyptian Universities House, Alexandria, 1st Edition, 1977 AD.

10- Al-Surakousi, Dr. Muhammad Ahmad Mustafa, Introducing Science Curricula, Definition Series on Logic and Science Curricula (3), Dar Al Thaqafa for Publishing and Distribution, Cairo, 1st Edition, 1994 AD.

11- Al-Abdi, Falah, Lub Logic, presented by: Dr. Ayman Al-Masry, Wamadat for translation and publishing, Beirut, 1st Edition, 2018.

12- Muhammad, Dr. Mahmoud Mohamed Ali, The old formal logic between authenticity and dependency - issues and problems, Publisher: Dar Al-Wafaa for the World of Printing and Publishing, Alexandria, 1st Edition, 2013 AD.

13- Mahmoud, Dr. Zaki Naguib, Positivist Logic, C1, Committee of Authorship, Translation and Publishing, committed to printing, publishing: The Anglo-Egyptian Library, Cairo, 1st Edition, 1951 AD.

14- Muzal, Uday Hassan, The Critical Speech by Ali Harib, Master Thesis, Supervised by: Dr. Faisal Ghazi Majhoul, College of Arts, University of Baghdad, Department of Philosophy, unpublished, 2009 AD.

15- Al-Nashar, Dr. Ali Sami, Formal logic from Aristotle until our present times, University Knowledge House, Alexandria, 5th Edition, 2000 AD.